المصدر: الدستور
التاريخ: ٢٠٠٥/٥/٢٥
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

نحن نعيد الاعتبار للسيدة جيهان السادات.. إنها تستحق!

هل كانت جيهان السادات سيدة مصر الأولى.. والأخيرة فعلا؟

■ اعتبر أعداء السادات مسلكها، وسلوكها الوطنى «عيبا»، وحاربوها، وتعاملت معها التيارات الإسلامية كـ«بدعة»، وضلالة وألقوا بها فى «نار» الإدانة، والتشويه

■ الذين قتلوا السادات، اعتذروا له، واعتذروا منه، واعترفوا بذنبهم، وتراجعوا عن فتواهم بتكفيره، واحتسبوه عند الله شهيدا، لكن الذين «نهشوا» جيهان السادات، وظلموها، سكتوا، وتواروا، واختفوا حين انتصرت لها الأيام

لم تتعرض سيدة فى مصر، والعالم العربى لمثل ما تعرضت له جيهان السادات، فقد واجهت، وهى فى الحكم وقبل الحكم، وبعده نقدا قاسيا، وعنيفا، واتهامات موجعة، وشائعات مغرضة، وبغيضة، وتعليقات، وإدانات علنية لا تحتمل.

عملت ممرضة دعما للمقاتل المصرى ضمن فرق المجهود الحربى التطوعى فى حرب العبور وفى حروب مصر كلها من ٥٦، و٦٧، وحرب الاستنزاف، فاعتبر أعداء السادات مسلكها، وسلوكها الوطنى «عيبا»، وحاربوها، وتعاملت معها التيارات الإسلامية كـ«بدعة»، وضلالة وألقوا بها فى «نار الإدانة» والتشويه.

أسست الوفاء والأمل، وقرى الأطفال الخيرية فاتهمت بنهب أموال المعونة الأمريكية، ولما فشلت التهمة لكون الوفاء والأمل مشروعا خيريا عاما، وليس مؤسسة خاصة تملكها السيدة الأولى، مما يعنى أنه لا يعيبها أن تخصص لها بعض الأموال والمنح، عادوا.. واتهموها بسرقة جهد أم كلثوم الخيرى، ومجهودها، وتجاوزوا فقالوا إنها غارت منها، وحاربتها، وكان لأم كلثوم بالذات قصة كبيرة مع جيهان حيث انتشرت فى الشارع حكاية تباسطها مع أنور السادات إلى حد مناداته فى جلسة عامة بـ «أبو الأناور» فغضبت جيهان وقالت لها الزمى حدود الأدب أنت تتحدثين مع السيد الرئيس، وبعدها بدأت حربا شرسة، تدعمها وتحرض عليها غيرة عمياء ضد المطربة الكبيرة، ولما نجحت القصة الملفقة انتشرت قصة أخرى حول تدخلها القوى لدى وزير الإعلام لإلغاء برنامج «سمير صبرى» النادى الدولى كراهية فى الراقصة «فيفى عبده» وهو كلام غير صحيح، وروايات غير حقيقية، قصدت إلى اتهامها بالتدخل فى شؤون الحكم، ووجدت فرصتها فى النمو بسبب الشفافية المنعدمة فى كل عهود الحكم فى مصر، فضلا عن كون «فيفى عبده» من ميت أبو الكوم بلد الرئيس، وإضافة إلى تورط كاتب كبير مثل محمد حسنين هيكل فى حملات التشويه التى روج لها فى «خريفه الغاضب».

لقد تعامل خصوم السادات مع زوجته باعتبارها نقطة الضعف فى حكمه، وحكومته، ومنطقة «تحت الحزام» الرخوة التى يمكن إصابته منها فى مقتل، ومن هنا كان قدر السيدة الأولى، وكانت قدرتها على التحمل.

فى الأيام الأولى للسادات فى الحكم أراد الرئيس الجديد أن يقول للعالم إن إدارته مختلفة عن إدارة الرئيس السابق، وقام بعمل لم يسبق له مثيل، وطلب من زوجته أن تسير إلى جانبه، وليس على بعد خمس خطوات بعده، كما كانت تفعل زوجة الرئيس ناصر، وزيادة على ذلك فقد طلب منها أن تقف قبله فى طابور استقبال الدبلوماسيين بحيث تصافح الضيوف قبل أن يصافحوه، فى رسالة عملية عن رؤيته المتحضرة للمرأة، وفى اليوم التالى ظهرت صور السفراء، وزوجاتهم والسادات، وحذفت صور جيهان مما أغضبها، فلما سألت عن السبب عرفت أن (سامى شرف) وزير رئاسة الجمهورية هو الذى فعل ذلك بحجة أن ذلك لا يجوز وقواتنا على الجبهة.. لقد صادر عليها، وعلى حقها كامرأة، وزوجة للرئيس باسم «العيب»، والعرف، والتقاليد، والظروف التى تعيشها البلد.

كانت أهم ملاحظة فى تلك الرواية هى أن سامى شرف تصرف من نفسه، وحجر على السادات، وزوجته متجاوزا كل صلاحياته، والملاحظة الثانية أنه راح يبرر للسيدة الأولى، ويرد على اعتراضها لفوزى عبدالحافظ دون أن يسأله أحد فى تأكيد على فكرة التنصت على أنور السادات وبيته!

تميزت جيهان السادات ببساطتها، وطيبتها التى دفعت جمال عبدالناصر إلى الهروب من مسؤوليات السلطة إلى دفء العائلة، والأصدقاء فى بيت أنور السادات رفيق كفاحه، كان يحب أكل جيهان السادات، ويحب حديثها، ووعيها، وأفقها الواسع، وطيبتها المحببة، ويشهد لها كل الذين عرفوها بأنها متحدثة لبقة، وأستاذة جامعية من الطراز الأول، تجيد فن التشويق فى الحديث، ولديها طعم خاص فى الحكايات، وقدرة فذة على تبسيط الرؤية والفكرة والانتظار لوجهة نظرها.

فى حفل استقبال الدبلوماسيين قالت لها زوجة وزير الداخلية «لا تخدمى الضيوف بنفسك» وكانت تقدم طبقا لدبلوماسى أجنبى «أنت زوجة رئيس الجمهورية» فقالت لها، «وما المانع فى أن أكون بسيطة، ومهذبة، وأخدم ضيوفى فى بيتى».

هذه هى جيهان السادات التى كرهوها، وهاجموها، واتخذوها هدفا، ومرمى لسهامهم، وفخا للنيل من السادات.

كانت جيهان السادات وفق ما روجه أعداؤه هى (الرجل) القوى فى الحكم، والصوت الواضح، والواسع التأثير على الرئيس، تتدخل بقوة، وتشارك فى القرار، وتشير فى القضايا، وتستشار، وتملك القدرة، والسلطة، والرغبة

أيضا فى اختيار الوزراء وتعيينهم.

وهو ما أكده الراحل الدكتور محمد حلمى مراد فى اتهامه لها بعد وفاة زوجها فقد قال «من الثابت أنها كانت تتدخل فى شؤون الحكم، وكان لها مكتبا رسميا باسم «مكتب حرم الرئيس» ولعل اختيار الذين عايشوا فترة دراستها فى الجامعة لمناصب عليا مثل الدكتور صوفى أبو طالب والدكتور صبحى عبدالحكيم (رئيسى مجلس الشعب الأسبقين) وحسين نصار خير دليل على ذلك، وما قاله حلمى مراد لم يختلف كثيرا عما قاله حزب التجمع فى صحيفته الرسمية، حيث نسب إلى جيهان السادات الدفع بـ«محمود أبو وافية» و«عثمان عثمان» وهى اتهامات نفتها جيهان السادات فى كتابها «سيدة من مصر» وقدمت دليلا على عدم صدق تلك الروايات، وحرصت على الإشارة إلى الدور القوى لعثمان عثمان فى عهد الرئيس ناصر، وإلى التاريخ السياسى الطويل لمحمود أبو وافية وعائلته فى عهد الرئيس عبدالناصر، وقبل الثورة أيضا.

كانت أهم مميزات الرئيس السادات أنه كان يرد على الجميع، ويواجه الجميع، ويثير بحواره المستمر حالة من الصخب السياسى، والحراك الاجتماعى المهم، واللازم فى الحياة السياسية، وكانت السيدة جيهان السادات نموذجا رائعا، ومتميزا، ومتحضرا للمرأة المصرية التى لم تتردد فى الدفاع عن قضايا وطنها وهمومه، ولم

تترك فرصة للمشاركة الجادة فى خدمة بلادها، وليس فى حكمها إلا واتخذتها، وقاتلت من أجلها حتى أن تقارير عديدة رصدت حجم الخسائر التى تعرضت لها المرأة المصرية منذ انسحابها من الحياة العامة إلى شؤونها الخاصة، وهى خسائر تمثلت فى تراجع مهول ومهيب فى تمثيل المرأة السياسى والنيابى (تراجع وجود المرأة فى برلمان ٢٠٠٠ بالنسبة إلى برلمان ١٩٨٠ بنسبة تصل إلى ٦٠٪ وبنسبة تصل إلى ٤٠٪ بالنسبة لبرلمان ١٩٨٧) ولم تحقق المرأة أى تقدم رغم الضجيج العالى للمجلس القومى للمرأة، وتم اختصار العمل الأهلى، والتبرعات والجهود الخيرية لمؤسسات تشرف عليها الرئاسة.

لقد كان اتهام جيهان السادات بتأميم جهود أم كلثوم الخيرية يشكل طعنة شديدة لنظام أنور السادات، وذلك رغم عدم صحة الاتهام فحسب الأوراق الرسمية لمشروع الوفاء والأمل قدم للشؤون الاجتماعية فى ١٩٧٢ وذلك قبل أن تقدم أم كلثوم مشروعها الخيرى فى ١٩٧٣، أى بعام كامل، وهى فترة كافية للتأكد على عدم صحة الروايات المتداولة.

مشكلة جيهان السادات الحقيقية أنها جاءت مختلفة، وجديدة، وفريدة، ومتحضرة، ورائعة، ولا تخشى شيئا، كانت وجها أخر للمرأة المصرية العصرية القوية التى تعرف حدودها ومسؤولياتها، المرأة المصرية الجديدة، وكل الذين عارضوها واعترضوا عليها لم يجدوا فى مواجهتها غير كلمة «عيب» ولم يقدروا على أكثر من الاحتماء بتراث عربيا عريقا يحاصر المرأة، ويعتقلها، ويسجنها، وتلك كانت أزمتهم هم وليست أزمتها..! فلم تضبط متورطة فى توزير أحد، أو تعيين مسؤول أو اختيار موظف، ولعل شهادة وزير داخلية السادات شعراوى جمعة - وبينه وبين السادات ما صنع الحداد - قال فى مذكراته إنها تدخلت لديه لد خدمة أحد اللواءات لكنه رفض، ورغم المبررات التى قدمتها فقد أحيل اللواء إلى الاستيداع، ومرة أخرى تدخلت لديه ليوقف قرار نقل أحد الضباط لأن أمره يهم العائلة، وقد طلبوا منها أن تتدخل لكنه أيضا أصر على موقفه، ورفض التراجع فى قرار نقله رغم أن الضابط لم يكن مخطئا،

أو متجاوزا.. الغريب أن وزير الداخلية يقدم تلك الروايات باعتبارها تدخلا فى شؤون الحكم، وهى روايات تؤكد مدى ابتعادها عن ذلك الأمر ومدى ديمقراطية السادات الذى لم يرض لزوجته أن تحكم من خلف ستاره.

كانت جيهان السادات دائمة بأنه لا يوجد رجل فى العالم يريد أن يأتى إلى بيته بعد يوم عمل فلا يجد زوجته فى انتظاره بابتسامة، ولا يجد طعامه جاهزا، والبيت فى نظام، وأولاده مهندمين، وواجباتهم المدرسية منتهية، والسادات لم يكن خلافا لذلك، قد كان كما تقول رجلا شرقيا، وفلاحا، والزوج الفلاح حتى

لو صار رئيسا للجمهورية لا تحكمه امرأة، اتهمت جيهان السادات بأنها كانت تتلقى تقارير الوزراء المرفوعة للسادات قبل أن يطلع عليها وتضع عليها علامات بالقلم الفلوماستر فقالت الذى عنده دليل على ذلك يقدمه، ولم يقدم أحدا دليلا واحدا على ما قال.

لقد خرج طلاب الجامعة من الإسلاميين والناصريين فى بداية السبعينيات يهتفون ضد جيهان السادات (حكم ديان ولا حكم جيهان) لأنها سافرت للجنود على الجبهة، وشاركت فى جهود التمريض، فقررت أن تلتقيهم، وقد أمنوا بوجهة نظرها وبرؤيتها وبضرورة أن يتحد الجميع لمواجهة ما يحاك ضد مصر، فى لقائها مع الطلاب عرفت أن الكلام الذى يواجهها ليس كلام الطلاب لكنه افتعال الكبار، كانت الاتهامات قريبة مما فعله سامى شرف معها.. نفس الموقف.. والرؤية.. والاتهامات!

كلهم كانوا يريدونها فى البيت، وكانت هى مصرة على أن دورها لا يقل عن دور الرجل.. أى رجل، فهى أستاذة جامعية، ومواطنة مصرية، ومهمومة بقضايا وطنها، لكن ذلك لا ينفى إيمانها بأن دورها لا يجب أن يقترب من مهام زوجها ومسؤولياته، وطوال عمرها لم تطلب زوجها فى عمله بالتليفون، إلى هذا الحد كان فى عرف تدخل زوجته فى عمله عيبا، كان وكانت معه مؤمنة بأن لكل منهم دور، وتخصص هو فى عمله الرسمى، وهى فى بيتها، ونشاطها الاجتماعى.

حين رشحتها أنباء متواترة لمنصب وزارى بعد رحيل السادات قالت إنها ترفض أى منصب مهما كان ويكفيها أن تعيش حياتها الباقية زوجة لأنور السادات الذى بكته زوجا وليس رئيسا للبلاد، وأبا للأولاد وليس زعيما كبيرا، ورجلا وإنسانا وليس مجرد مسؤولا مهما!

وجيهان السادات سيدة قوية، وصلبة، حتى أن موقفها يوم اغتيال زوجها فى المنصة كان مثيرا ومدهشا وعصيا على الفهم لدى كثير من أعدائها، لم تبك، ولم تصرخ، ولم تختبئ تحت الكرسى كما فعل الجميع، ونهرت فايدة كامل زوجة وزير الداخلية النبوى إسماعيل حين «صرخت مفزوعة» وهو موقف ليس جديدا عليها ففى عام ٥٦ كانت عند جيران لهم مع ابنتها وكان القصف عنيفا، وصوت القنابل يحطم زجاج النوافذ «فصرخت جارتها من الفزع» فنهرتها أيضا لكن الجارة اعترضت متسائلة ألا ترين ما نحن فيه؟ فقالت لها هل ينقذنا الفزع من الموت إذا جاء؟ لقد بررت جيهان السادات رباطة جأشها وقوتها بإيمانها بالله، وبالقضاء والقدر، وبالأمر الواقع، حين قالوا لها إن شقيقها قد يواجه اتهاما بالإثراء غير المشروع قالت لهم «احبسوه إن ثبت اتهامه.. ليس هناك أحد فوق القانون» وأضافت «لو أن أبى أخطأ لطالبت بحسابه وعقابه»، عرضت عليها قطعة أرض فى الهرم ورفضت، وعرضت عليها قطعة أخرى فى تقسيم البحر الأحمر فقالت لن نأخذ شيئا معنا للقبر حين نموت، ورفضت.. ورغم ذلك اتهموها بأنها تملك الملايين، ولها أرصدة سرية فى بنوك سويسرا، وأمريكا، ومزرعة، وقصور فى أنحاء العالم، فقالت الذى لديه دليل عليه أن يقدمه، وقدمت هى أوراقا بذمتها المالية تقول إنها تملك ١٤ فدانا فى ميت أبو الكوم كل ثروتها أول عن آخر وهى ميراث لها ولأبنها من الرئيس السادات.

أحمد فكرى